

الطفل كإمكانية حقيقية للخروج من العدمية

The child in Nietzsche's philosophy

عماري خيرة

جامعة الجزائر 2 / الجزائر، Kheira.amari@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/01/12 تاريخ النشر: 2023/07/31

ملخص:

يكاد يكون حضور الطفل - كمقولة فلسفية - منعدماً في تاريخ الفلسفة باستثناء بعض الملامح الباهتة هنا وهناك في الفلسفة القديمة أو الحديثة. فإذا كانت الفلسفة قد فكّكت كبريات الأسئلة حول الكون وحول الدين وحول المجتمع . . وإذا كانت كل المباحث الفلسفية تتقاطع للإجابة عن السؤال الأكبر : ما هو الإنسان ؟ فهل في هذا تصريح ضمني على مقاطعة أو إسكات " الطفل " النائم بداخل هذا الإنسان وإنتهاء منه كلياً ؟ فماذا عن صمت الفلسفة أمام سؤال الطفل ؟ وكيف أخرج نيتشه مقولة " الطفل " من هذا الصمت الفلسفي وما هي أدواته في ذلك ؟ هذا الفيلسوف الذي عوّدنا على الحفر في المفاهيم بمطرقته الجينولوجية . فكيف تعاملت الآلة الجينولوجية لنيتشه مع مقولة الطفل ؟

الكلمات المفتاحية : الطفل – الوعي - نيتشه- الفلسفة – الجينولوجيا – الإنسان

Abstract:

The presence of the child - as a philosophical category - is almost non-existent in the history of philosophy, except for some bright features here and there in ancient or modern philosophy. If philosophy had dismantled the major questions about the universe, about religion, and about society. . And if all philosophical investigations intersect to answer the biggest question: What is man? Is there an implicit statement to boycott or silence the "child" sleeping inside this person and end him completely? What about the silence of philosophy in front of a child's question? And how did Nietzsche get the phrase "the child" out of this philosophical silence, and what are his tools in that? This philosopher who used to dig into concepts with his genealogical hammer. How did Nietzsche's genealogical machine deal with the child's statement?

Keywords: child - consciousness - Nietzsche - philosophy - genealogy – man

1-مقدمة

كثيراً ما يندرج الحديث عن " الطفل " ضمن الخطاب البيداغوجي التربوي و الأخلاقي الذي يتعاطى مع الطفل وفق معايير ما يجب أن يكون عليه " الطفل " حتى يلتحق بحضيرة الكبار الراشدين . باعتبار الطفولة ممرٌ لا بد منه، ولكنه محكوم عليه بضرورة الإفضاء إلى مرحلة أرقى و أكمل . و في مقابل هذا الطرح الذي ساد الفكر التربوي و الفلسفي ، جاء الفيلسوف نيتشه بتصور مختلف ، تساءل من خلاله عن مدى مصداقية الخطاب البيداغوجي في مقارنته لمقولة الطفل ليصل بعدها إلى تجريد " الطفل " من هذه السلبية و من مظاهر الضعف و النقص و التبعية ليجعل منه حالة من حالات الوعي البشري . بل أرقاها - أو كما قال زرادشت " أذكركم ثلاث تحولات للعقل : كيف يتحول العقل إلى جمل ، و الجمل إلى أسد ، و الأسد إلى طفل بالنهاية . لتظهر اطروحة نيتشه في الطفل عكس ما اقترحتة التربية التقليدية ، التي تبدأ بطور الطفل و تنتهي بطور الجمل ، في حين يعدّ الطفل في فلسفة نيتشه نتاج مجاهدة و ترويض لهذا الوعي ، و تتويجٌ لمسار تكويني و ليس منطلقاً يفتقر لمقومات النضج و الكمال .

2- الإشكالية : فكيف تمكن نيتشه من إحداث هذا التحوّل الجوهرى في مقولة الطفل ليجعل منه هدفاً يسعى لبلوغه الإنسان؟

وماهي المقومات الجديدة التي تؤسس لمقولة الطفل في فلسفة نيتشه ؟
و كيف يمكن لمقولة الطفل أن تمد الإنسان بالقوة لتجاوز ما يعترضه من أزمات و مشاكل؟ و ماذا ينتظر من التربية و التعليم لبلوغ هذا الهدف ؟

3-الطفل كمقاربة فلسفية : تقتضي المقاربة النيتشوية لسؤال الطفل التعامل الفيلولوجي مع كلمة " الطفل " بدءاً بتحديد مفهوم الكلمة

لغةً: enfant في اللاتينية (larousse, 2007, *infans, -antis*, qui ne parle pas encore p. 210) فهي تشير بالخصوص إلى غياب العبارة والكلام: فكأن الطفل يُعرّف بعدم الكلام، وربما بالصمت، بالصمت عما يُفعل به، ولكن الطفل هو أولاً صامت، وهو يتلقّى. فلا يتكلم، أعني لا يعبرّ عبارة ذاتية غير مرّدة، إلا بعد أن يتلقّى. كأنما الكلامُ في النهاية هو التعبير، ولكن بعد إحكام التردد.

-وفي العربية كما ورد في المعجم (منظور، 1998، صفحة 85): أطفَلَ الكلامَ أي عُني به وأتقنه؛ فكأنما أثبت وزنُ المزيد [أفعل = أطفَلَ] وهو وزنٌ سالب كما في كثير من الأفعال العربية، ما أضمره المجرد البسيط [فعل=طفَلَ/] أنّ فعل الطَّفَلِ والطَّفُولِ هو قبل كل شيء اللاكلام.

-وفي اللغة اليونانية – كما جاء في أسطورة الكهف- نجد ان كلمة طفل بمعنى بايس [paiv~=بيد ال [paidagov~ pédagogue] الذي يسوقه أو يقوده إلى المدرسة ليتعلم أن يردد أولاً ثم يتكلم .

إذن تتقاطع هذه الدلالات في غياب القدرة على الكلام ، وهو ما يفسر -إلى حدّ ما- الحمولة السلبية لدلالة "الطفل" في وعينا ولاوعينا الفردي و الجمعي عبر تاريخ الفكر الفلسفي . ففي أسطورة الكهف مثلاً سجناء الكهف هم هناك منذ أن كانوا أطفالاً، أي أن الطفولة ارتبطت بالوضع البدئي، كحال يرتبط بما "تحت الأرض"، على صورة "كهف"، كما ارتبطت بالقيود والأغلال ويتسمّر السجناء على نحو ليس فيه حركةٌ ولا تصلهم المعرفة إلا ما كان منقولاً منها عن مصدر خارجي . فاندرجت الطفولة ضمن هذا التلاحق على أنها قطعةٌ من الماضي، بل هي ماضي الحاضر، وبداية المكمّل، الطفولة مكمل، وليست شيئاً في ذاته....الطفولة ممرٌّ لا بد منه، ولكنه محكوم بضرورة الإفضاء إلى وضع أرق و أكمل. وكان حضورها (الطفولة) هو دائماً حضور مستحضرٌ [une présence re-présentée]، أعني أنه مرّتب على جهة نظر لا تراه هو، ولا ترى الطفولة في حد ذاتها، وإنما تراهما في ضوء الحاضر.

في ذات السياق يرسم Laurent Bachler مشهداً فلسفياً للمفاهيم التي نفكر من خلالها في الطفولة على غرار الطفولية ، والرعاية والاهتمام ، والدموع والابتسامات ، والتعليم والإحسان ، والكبار والانفصال ، والأحلام و الخيال ... ليتقاطع هذا الاستكشاف المفاهيمي مع بعض الفلاسفة العظماء في ما قالوه عن الجمال أو الجنون أو سوء النية أو قوى الخيال التي تعكس التوترات والقضايا العميقة للطفولة التي تحيل إلى ذلك الكائن الصغير، وأحياناً كعبد صغير ، وأحياناً كخادم صغير. فهناك تردد في التصور بين الطفل والعبد. من حيث وجود تقارب بينهما. ففي العصر الكلاسيكي كان الطفل أقرب إلى الحيوان أو المجنون ، وفي الفلسفة القديمة جعلت الطفل أقرب إلى العبد .

وجاءت مهمّة الفلسفة - بدءاً من الحداثة- لإنطاق الطفولة، واستدراجها إلى حلبة الإنسانية، فكأنما عين الفيلسوف تستعجل الطفل على نفسه، وتستحثه أن يخرج من الحيوانية الدنيا التي قُذف فيها، ليتجاوزها ضمن جدية تقطع نهائياً مع براءة الصبّية وأسئلة تقطع نهائياً مع الطفولة، بل تنساها إلى غير رجعة. فكأن الإنسان لم يولد ليعيش طفولته وحتى إذا ما عاشها، فهي طفولة موجّهة، لا تتحكم بزمانيتها، وإنما هي محكومة بالمفهوم الذي يتوجب عليها أن تفضي إليه . إن مغادرة الطفولة لا تعني فقط مرور الأعوام على الإنسان، حيث يكتسب من نموه مظهراً آخر، وإنما تعني إعادة ترتيب لعالم يقف في مركزه الإنسان...ذلك الكائن العاقل والناطق [animal rationale] ، لكن ما هي الإنسانية التي نغادر من أجلها الطّفولة ونستدرج إليها طفولتنا؟ .

هي إنسانية العقل الراشد الناضج اللامشروط، في التّحكم، والسيادة على العالم والطبيعة، فيلتحق هذا " الطفل " بهذه الإنسانية . فعندما عمد ديكارت إلى سرد قصة الكوجيتو، فقد بدأ بإقرار الطّفولة ضمن سلبية قصوى أو كما قال "ليس بالأمر الجديد ما تبينت من أنني منذ حادثة سني قد تلقيت طائفة من الآراء الباطلة وكنت أحسبها صحيحة، وأن ما بنيته منذ ذلك الحين على مبادئ هذه حالها من الزعزعة والاضطراب لا يمكن أن

يكون إلا شيئاً مشكوكاً فيه جداً ولا يقين له أبداً" (ديكارت، 1989، صفحة 54). على عكس ديكارت الذي من أجله يجب أن نترك الطفولة تماماً لنكون قادرين على الوصول إلى الطبيعة الفائقة للفعل الفلسفي وهو الشك المنهجي، يقترح علينا نيتشه أن نعثر على الطفل الذي ينام بداخلنا حتى نتصلح مع طبيعتنا ونقبل على الحياة. فيدعوننا إلى إعادة الاتصال بإبداعنا العفوي وبالفرح الذي يصاحب الأطفال في اكتشاف الحياة في أكثر أشكالها أصالةً. عندئذ سوف نتعامل مع تلك القدرة على الإدراك التي نحملها بداخلنا والتي هي "قوة عظمى وروعة في حد ذاتها ممكنة، من النوع البشري" (Nietzsche, 1887, p. 54).

وهذا ما جعل قدم ديفيد كينيدي يقول في كتابه ""المفاهيم المتغيرة للطفل من عصر النهضة إلى ما بعد الحداثة" (Kennedy, 2006, p. 100)، أن هناك مفهوميين متعارضين للطفولة اخترقا تاريخ الغرب أحدهما رومانسي والآخر سلبي و انتقاصي .

حيث تميل الرؤية الرومانسية للطفولة إلى منح الطفل طبيعة شبه إلهية، ملاكاً بريئاً، ونقياً، طاهراً، وقادراً على الخلق من خلال عقله البكر، وامتلاك الحكمة غير العقلانية، وهو أقرب إلى التعبير عن الطبيعة لما يتسم به من القداسة..... فكأنه إله نفقده مع تقدمنا في العمر. أو كما قالت سيمون دوبوفوار Simone de Beauvoir

« En un sens le mystère de l'incarnation se répète en chaque femme ; tout enfant qui naît est un dieu qui se fait homme » (Beauvoir, p. 88)

في حين يذهب التصنيف الآخر إلى التنمر و الازدراء من الطفل باعتباره كائنًا أنانيًا وغير أخلاقي. حيث يرى في هذا القرب من الطبيعة كعائق و كضعف و عيب يجب تداركه وتصحيحه مع الزمن مثلما تجسد ذلك في أغلب مظاهر تاريخ الطفولة في الغرب " (Becchi, 1998, p. 413)

و يذهب أولئك الذين ينظرون إلى الطفولة بطريقة رومانسية إلى جعل الطفل حاملاً لمثل جديدة فيكون أكثر مثالية عندما يكون أصغر حجمًا، وأقل اختناقًا من قبل المجتمع وعمل

الكبار ، ويمكننا ذلك من أن نأمل في بناء مجتمع مختلف حوله ، أفضل ، وأقل عرضة للتدهور من المجتمع الموجود.

إنه الطفل "المختلف" ، الطبيعي ، ما قبل الاجتماع ، القادم من واقع آخر ويحمل نماذج أخرى ، لذلك ، فإن هذا المفهوم الرومانسي للطفل له أيضًا ميله الأداتي ، حيث تكمن قيمة الطفل مرة أخرى في قدرته على استشراق المستقبل من خلال نقاوته وبرائه التي يمكن - بل يجب أن يتم - استغلالها ، أو سيتم الاقتراب منها (Becchi, 1998, p. 409). و قد تعمقت هذه الرؤية الفاعلة " للطفل " في فلسفة نيتشه . فكيف تم التحوّل و القفز من تصور " الطفل " كمدخل [تمهيد] للإنسانية إلى " الطفل " كمنتهى و تتويج الإنسانية في ارتقائها ؟.

4- " المقاربة النيتشوية ل " الطفل " كمنتهى الإنسانية:

1-4- الطفل ضمن التحولات الثلاث للوعي الإنساني : تعهد نيتشه بإسقاط الميتافيزيقيا الكلاسيكية عن طريق قلب كل قيمها التقليدية فيلتقي بشخصية الطفل ويرى فيها استعارة مركزية لفهم الفعل الفلسفي الأساسي. و نجد هذا التصور للطفولة في الفصل الأول من هكذا تكلم زرادشت:

حيث عزل زرادشت نفسه عن الرجال لمدة عشر سنوات للتأمل. عندما يبدأ الكتاب ، قرر العودة بين الرجال ليعلمهم ما يسميه الإنسان الأعلى . فقال " "أذكر لكم ثلاث تحولات للعقل :كيف يتحول العقل إلى جمل، والجمل إلى أسد، والأسد إلى طفل بالنهاية.

فيبدأ حديثه عن التحول إلى الجمل فيقول:

أثقال كثيرة هناك بالنسبة للعقل القوي المكابد، العقل الممتلئ احترامًا؛ إلى الثقل والأكثر ثقلاً ترنو قوته .

ما الثقيل؟ هكذا يسأل العقل المكابد، وهكذا يجثو على ركبتيه مثل الجمل ويطلب حملاً جيداً.

ما هو الأكثر ثقلاً أيها الأبطال؟ يسأل العقل المكابد، كي أحمله وأغبط لقوتي. أليس هذا ما يعني أن يحط الواحد من نفسه كي يكسر شوكة غروره؟ وأن يدع حمقه يشع كي يسخر من حكمته؟

أم ترى: أن نتخلى عن قضيتنا في اللحظة التي نحتفل فيها بانتصارها؟ أن نتسلق جبلاً شاهقة من أجل أن نجرب المجرب؟ أم هو هذا: أن نتغذى من عروق وأعشاب المعرفة، ونجعل الروح تكابد الجوع من أجل الحقيقة؟

أم هو هذا: أن تكون مريضاً تصد المواسين وتعقد صداقة مع الصم الذين لن يسمعو أبداً ما الذي تريده؟

أم هو هذا: أن يلج الواحد المياه القذرة إن كانت تلك ماء الحقيقة، وأن لا يدفع عنه الضفادع الباردة والعلاجيم السامة؟

أم هو هذا: أن تحب أولئك الذين يحتقروننا، وأن نمد يدنا إلى الشيخ عندما يريد أن يربنا؟ بكل هذه الأثقال يأخذ العقل المكابد على عاتقه، وكما الجمل الذي يسعى حثيثاً بأثقاله عبر الصحراء، كذلك يسعى هو حثيثاً في صحرائه.

ينتقل بعد ذلك (نيتشه) من وصف "العقل المكابد"، أو ما شبهه بالجمل، إلى التحول التالي للعقل، فيقول: لكن في الصحراء الأكثر خلاء ووحدة يحدث التحول الثاني: أسداً يستحيل العقل، يريد انتزاع الحرية، وسيداً يريد أن يكون في صحرائه الخاصة. هنا يبحث عن آخر أسياده: عدواً يريد أن يصير لآخر أسياده ولآخر آلهته، ومن أجل النصر يريد الاشتباك مع أعظم تنين

ما هو هذا التنين الأكبر الذي لم يعد يرغب فيه العقل سيدياً وإلهاً؟

“ينبغي عليك” يُدعى التنين الأكبر. لكن عقل الأسد يقول: “أريد.”

“ينبغي عليك” تسد عليه الطريق ملتمة بريق الذهب؛ حيوان حرشفي، وفوق كل حرشفة تلتمع مقولة “ينبغي عليك” ببريق ذهبي.

قيم آلاف السنين تلتمع فوق تلك الحراشف، وهكذا يتكلم التنين الأشد قوة: “قيمة الأشياء بكليتها تلتمع فوق جسدي.”

كل القيم التي قد تم خلقها، وكل القيم التي تم خلقها هي: أنا. حقًا، لم يعد هناك من مكان لأي “أريد”! هكذا يتكلم التنين.

لكن ما ضرورة الأسد للعقل يا إخوتي؟ ما الذي ينقص دابة الحمل والمكابدة المتبتلة والمفعمة احترامًا؟

خلق قيم جديدة، ذلك ما لا يقدر عليه الأسد بعد؛ أما اكتساب الحرية من أجل إبداع جديد، فلذلك ما تقدر عليه قوة الأسد.

إكتساب الحرية وإعلان الـ“لا” المقدسة تجاه الواجب أيضًا، ذلك هو ما يحتاج إليه الأسد.

اكتساب حرية ابتداء قيم جديدة، إنه الكسب الأكثر فظاظة بالنسبة لعقل مكابد ومفعم بالاحترام. لكنه في الحقيقة مجرد صيد وعمل حيوان مفترس.

في ما مضى كان العقل يحب “ينبغي عليك” ويجلها كأرقى مقدساته؛ أما الآن فلا بد أنه واجدٌ جنونًا واستبدادًا في أكبر المقدسات أيضًا، كي ينزع إلى افتكاك حريته من حبه هذا؛ إنه بحاجة إلى الأسد من أجل هذه الغنيمة المنتزعة.

فالعقل المكابد كما يقول (نيتشه) هو العقل الذي يحمل المعلومات والأفكار. أما ما يحتاجه الأسد فهو الحرية للإبداع، ضد جميع الموروثات وواجبات الإنسان. ينتقل بعد ذلك (نيتشه) إلى التحول الأخير من العقل، فيقول: “لكن قولوا لي يا إخوتي، ما الذي يقدر عليه الطفل مما لا يقدر عليه حتى الأسد؟ ولم ينبغي على الأسد المفترس أن يتحول أيضًا إلى طفل؟”

براءة هو الطفل ونسيان. بدء جديد، لعب، دولا ب يدفع نفسه بنفسه، حركة أولى، "نعم" مقدسة.

أجل، إن لعبة الابتكار يا إخواني تتطلب "نعم" مقدسة: إرادته الخاصة، يريد العقل الآن؛ والذي يكون غريباً في العالم يكسب عالمه الخاص.

فالمرحلة الأخيرة للعقل هي "العقل المرید"، ذلك الذي يزيح "التنين" والمقدسات الموروثة عن معادلته، في سبيل أن يصنع طريقه الخاصة، بعيداً عن الخصام مع ما يختاره العالم والمجتمع. ثلاث تحولات للعقل ذكرت لكم: كيف تحول العقل إلى جمل، والجمل إلى أسد، والأسد إلى طفل بالنهاية (نيتشه، 1983، صفحة 223).

-تؤكد أول خطابات زرادشت على التحولات الثلاثة: كيف صارت الروح جماً، و الجمل أسد أ، وأخيراً الأسد طفلاً، و تكشف هذه السلسلة الغريبة من التحولات عن حالة الإنسان التي تنتهي إلى الطفل باعتباره ما يكشف لنا إنسانيتنا أو هو تنويج لإنسانيتنا. كما سيتضح ذلك :

1-1-4- حيث يبدأ الوعي بلعب دور الجمل فيحمل الأثقال والأعباء ويتحمل أسوأ أنواع المحن لمجرد الثبات على شجاعته. فالجمل هو اول من يحمل الاحمال، إنه قاس ويتحمل ثقل حالته و يقبلها. وهو يلبسها لعبور الصحراء. صحراء الحياة هي الحياة التي يعبرها الجمل بلا فرح. ومع ذلك، فإن موقفه الدائم لا يمكن اختزاله في الاستسلام. ما يدفع الجمل، وما يدفعه إلى الأمام، هو الإحساس بالواجب. وسنجد من الرجال من يبنون معنى وجودهم حول فكرة الواجب هذه. "لماذا فعلت هذا؟" لأنه كان واجبي. فهناك عظمة في قدرة الإبل على التحمل.

2-1-4- ولتحرير نفسه يتحول هذا الجمل إلى أسد، وهكذا يحرر نفسه من الواجب، ويرفض الخضوع لهذا التنين الرهيب، الذي يحمل، على كل مقياس، "يجب عليك" المتسلط ويثني ركب الجمال. يمكنه التوقف عند هذا الحد. ويقول "أريد". ففي أقصى

الصحراء يمكن أن يتحول الجمل إلى أسد. وهو التحول الثاني للوعي ، والأسد هو صورة الحيوان الذي يريد أن ينتصر على حريته. ضد تنين الأخلاق الذي يقول له: "يجب عليك!" ، فيجيب الأسد: «أريد. " ، يريد الأسد التجديد. وليس الاستمرارية ، كما في حالة الجمل التي حملت ثقلها كما يحمل المرء تاريخها. ليس لديه حتى الآن القوة لخلق قيم جديدة ، لكن لديه القوة لرفض القيم القديمة بفعل حر: هذا ما يمكن أن تفعله قوة الأسد. (نيتشه، 1983، صفحة 31) إن الحصول على الحق في خلق قيم جديدة هو غزو غير عادي لعقل معتاد على الأعباء والطاعة. لقد تطلب الأمر كل قوة الحرية للانفصال عن الشعور بالواجب.

3-1-4- بعدها يسأل زرادشت: "لماذا يجب أن يصبح الأسد الشرس طفلاً؟

يحدث التحول الثالث للروح عندما يصبح الأسد طفلاً. ويرمز الطفل عند نيتشه إلى عصر البدايات ، والتأكيد الأول ، و "نعم" الذي يسمح بخلق قيم جديدة. هذا الخلق للقيم هو الفعل الفلسفي الأساسي الذي به نهرب من العدمية. و لفهم هذه اللفتة الافتتاحية للفلسفة، يجب أن نستدير تجاه الطفل.

لكن ماذا يفعل الطفل ولا يستطيع الأسد أن يفعله؟

الطفل..يلعب. لكن هذه اللعبة ليست للمتعة و الترفيه على العكس من ذلك ، إنها لعبة الخلق. من خلال اللعب ، يخلق الطفل عالمه...و إرادته هي التي تخلق العالم. ومن ثم فهو عالمها الخاص. اللعب بالنسبة لنيتشه مثل الرقص والضحك. إنها قوى التحويل وعكس القيم. وهكذا ، فإن الرقص يحول الثقيل إلى نور. الضحك يحول المعاناة إلى فرح. وتحويل اللعبة الترفيه غير المجدي إلى شيء خطير وضروري. كل هذه التحولات ، كل هذه الانعكاسات، التي تجد شكلها في أنشطة وإيماءات الطفولة ، هي جوهر المشروع الفلسفي عند نيتشه (Bachler, 2016, p. 51).

ولذلك راح يُعرّف زرادشت الطفل قائلاً : "الطفل براءة ونسيان ، بداية جديدة... ولعبة ، عجلة تتدحرج على نفسها ، حركة أولى ، " نعم " مقدسة". لإعادة تشكيل العالم ، وابتكار قيم

جديدة ، ورمي نرد الوجود نحو السماء ، " تم يواصل " عليك أن تصبح طفلاً. و ليس ذلك بما قد يخطر ببالك من شيء لطيف أو حلو. فالبراءة هنا ليست مسيحية حقًا. يصبح الطفل هو ذلك الأفق أو المرحلة النهائية، وليس "ما تركناه" خلفنا ، بل "ما يجب أن نحققه". إنه الطفل الذي يلعب على ضفاف الابدية كما قال هيراقلمس و لا يحد من نشاطه أحد . وذلك التحول قد بلغه نيتشه ذاته ، فبعد أن دمر كل القيم المسيحية ، وبلغ مرحلة العدمية ، طالب بخلق قيم جديدة التي هي قيم السوبرمان ، الذي يمثل مرحلة تجاوز الإنسان العادي والعبور نحو الضفة الأخرى ، لأن الإنسان بحسب تعريف نيتشه حبل ممدود فوق هاوية أما أن تقود إلى ما هو دون القرد أو العبور الجهة الثانية التي تؤدي نحو الانسان الأعلى ، المتحرر من كل الوصايا والقيم الدينية و المتفوق سيكولوجيا ، وعقلياً ، و اخلاقياً على الإنسان الاخير وبذلك لخص نيتشه كل فلسفته بالقول أن البشرية بلغت مرحلة العدمية، بعد نهاية الاخلاق المسيحية وموت الله وعلما أن تجد بديل عما كان يقوم على اسس صلبه وقوية .

وعلى الإنسان أن يموت شوقاً لامتلاك عقل الطفل كما جاء على لسان زرادشت : " فأى حياة تعيشها أيها الانسان الأخير إذا كنت تقنات مما ترك من كان هنا قبلك، وجودك مجرد رقم زائد في معادلة الوجود. أنت كبقية القطيع يولدون ليتقمصوا آباءهم بل هم آباؤهم ولكن لا يعلمون "

- أن تصبح طفلاً ليس بالأمر المعطى. ولا المضمون و ليست متعة. و ليست مصيرا تم تحديده مسبقاً. الطفل اختيار ، عمل ومغامرة. مخاطرة. رحلة تصاحبها تحولات عميقة كانت تسمى

الحياة (Nietzsche, ainsi parlait zarathoustra, 2006, p. 410) أو كما قال زرادشت " devenir enfant n'est jamais donné. Ni assuré. Ce n'est pas une partie de plaisir. " Mais pas non plus un destin qui serait déjà tracé. Plutôt un choix, une oeuvre et une aventure. Quelque chose comme un risque. Un voyage, avec quelques

métamorphoses à la clé. Autrefois, on appelait ça la vie. (Nietzsche, ainsi parlait " zarathoustra, 2006, p. 410)

- الطفولة ليست حالة عابرة يجب عليك المغادرة منها للوصول إلى أشياء أكثر جدية. إنها مجموعة من الأفكار والذكريات والمعتقدات والأحلام التي تعيش فيها وتنظم علاقتنا بالواقع والحاضر... فالطفل يقظة

وهكذا نشهد ، في لحظة ولادة كل الطفل ، انقسام البشرية إلى فئتين. إلى لاعبين ، أو أطفال أبرياء ، سيعيشون وجودهم كما لو كانت المرة الأولى ، مع الالتزام التام بجميع عناصر حياتهم السلبية ، وحتى مأساوية ومرضى الذاكرة ضحايا هذه الملكة التي كتب فيها نيتشه نصوفاً رائعة. إن ذاكرتنا هي بالتأكيد أداة لا غنى عنها وضرورية ، لكن النسيان ضروري أكثر. أن ننسى الوجود السابق ، وننسى الإهانات التي تُلحق بنا ، وأن نهرب قدر الإمكان من كل استياء وكل تكرار. و بذلك يمثل كل طفل مولود على الأرض أكبر عدد ممكن من الاحتمالات لإعادة تفسير هذه الحياة .

إنّ تحول الروح كما تم تقديمه ليس عرضاً لمراحل تقع ضمن استمرارية وتجعل من الممكن الوصول بشكل نهائي إلى الإنسان الأعلى من خلال الوصول إلى المرحلة النهائية من الطفل. وبالتالي لا يمكن إلحاق مقارنة نيتشه للتحولات الثلاث للوعي أو الروح بالمقاربة الهيجيلية في تشكل روح العالم " weltgeist " كمراحل متتالية نحو الكمال المطلق باعتبار نيتشه مناهض للهيجيلية

إذ لا يصبح كل جمل أسداً: فقط أولئك الذين وصلوا إلى أقصى حد من قوتهم يخضعون ، أو بالأحرى يعيشون و لا يصبح كل أسد طفلاً.. إذ يمكن أن يقضي الإنسان كل حياته في طور " الجمل " يحمل الأعباء و الأثقال " و لا يرى في الوجود إلا مقولة " يجب عليك "

فهناك من يبقى في " شراسة الأسد " مكتفياً بعبارة " أنا أريد " من دون تجاوز هذه الرغبة في التحرر من ائقال الواجب إلى التفكير في الخلق و الإبداع ، و هؤلاء يكون تمردهم أقرب

إلى التدمير من إلى التمرد. و أخيراً هناك من يرتقي عبر هذه التحولات و الحالات ليبلغ مرحلة أو حالة " الطفل " كمنتهى الإنسانية و كتتويح لتحول الوعي البشري إلى الطفل كبراديغم جديد للوعي الإنساني. إذ تتعلق هذه المراحل عند نيتشه بحياة الفرد وتحوله من مرحلة للأخر ، حسب تطوره الروحي والعقلي ، فما هي تجليات الطفل في هذا التحول ؟ .

5-الطفل ضمن مقولة الإنسان الأعلى عند نيتشه : يمكن تحليل ذلك بالرجوع إلى مايلي :

1-5- الطفل والعود الأبدي : قُدمت هذه الفكرة لأول مرة في نهاية الكتاب الرابع للمعرفة المرحلة حيث قال : "وإذا كان يوماً أو ليلة واحدة ، قال لك شيطان [...]": هذه الحياة ، عندما تعيشها وتعيشها ، سيكون عليك أن تعيشها مرارًا وتكرارًا مرات لا تحصى (Nietzsche, Gai savoir , 1989, p. 152). لهذه الفرضية قيمة اختبار لأنها تتيح لنا أن نرى ، وفقاً لرد فعلنا ، درجة قوتنا وانتمائنا إلى نوع بشري معين. يمكن أن يكون لها أيضاً قيمة أداة التحويل: فمن خلال المواجهة المستمرة لهذا الفكر ، هذا "الوزن الثقيل" الذي يحمله الجمل تؤدي مواجهة إلى تحويل طريقتنا في الحياة باعتبار الوجود خالي من النهاية أو كما قال نيتشه: "يسمح لنا الطفل ، من خلال تجسيد هذه البداية الجديدة برؤية الحياة كدورة حيث يمثل الطفل نهاية وبداية شيء آخر. و حتى لو كان زرادشت نصًا كونيًا على ما يبدو ، فإن نيتشه لا يدعي تقديم حقيقة حول العالم ، يجب أن تسمح هذه العقيدة قبل كل شيء بظهور العدمية النشطة التي تخلق قيمًا جديدة لذلك ، تسعى العقيدة من خلال الخبرة النفسية والعاطفية ، إلى هدف عملي.

يجسد الطفل أحيانًا الشكل المجازي للتحويل ، وأحيانًا احتمالية حدوث تحول. ففي شذرة الطفل في المرأة (Nietzsche, Fragments posthumes , 1884, p. 250) إذ يروي نيتشه قصة حلم يسلمه فيه طفل امرأة: "لماذا كنت خائفة جدًا في حلمي ، لدرجة الاستيقاظ منه؟ ألم يقترب مني طفل يحمل امرأة؟ قال الطفل لي يا زرادشت ، انظر إلى نفسك في هذه المرأة!

(نيتشه، 1983، p. 76) ، بدهشة ، يخاطب نيتشه حيواناته: "ماذا حدث لي ، يا حيواناتي؟ أنا لا أتحول؟" «

-الطفل شخصية البداية الجديدة ، يعكس تفكيره مرة أخرى إلى زرادشت ، مما سيسمح له برؤية أكثر وضوحًا في نفسه. يعمل الطفل هنا ككشف للعلاقة التي يحافظ عليها مع أحداث حياته ("تعليمي في خطر [...] لقد أصبح أعدائي أقوياء جدًا وشوهوا الصورة من عقيدتي [...] (نيتشه، 1983، صفحة 76). هو الذي سيكون مسؤولاً عن تحوله ، و " بهجه " ، و " سعاداته " و " حبه النافذ الصبر " الذي يفيض. بعبارة أخرى ، الطفل هو الذي يضع زرادشت في وضعية الإذعان تجاه نفسه وفيما يتعلق بالواقع الذي يعيشه فيجب أن يقبل الوجود كما يأتي. أن نحب الحياة من جميع جوانبها حتى يأتي أخيرًا فرح الروح الذي سيسمح بتكثيف الحياة. إنه يستنكر مراضة العقائد الميتافيزيقية والأعراف الأخلاقية والدينية التي تتعارض مع الحياة كما ينبغي ، أي الغريزية والقيادة (Dorian, 2017, p. 3)

-هذا الطفل ، العجلة التي تدور على نفسها والحركة الأولى ، هو بالتالي الطفل المتصالح مع ما لا نهاية لوجوده السابق ، القادر على نسيانها ليعيشها مرة أخرى ، ويعيشها بفرح ولعب ، في امتلاء "مقدس". نعم". سيكون قادرًا على التكرار بشكل متماثل ، استعدادًا لعودته الجديدة. والشخص القادر على مثل هذه الموافقة هو بالضبط الإنسان الأعلى. (Granarola, 2012, p. 13) وفي ذات السياق يشكل الرواقيون في نظر نيتشه آخر لحظة عظيمة للفكر اليوناني إنهم يطالبوننا ، في العبارة الشهيرة ل بأن نتعلم كيف نريد أن تحدث الأشياء ، ليس كما نرغب، ولكن كما تحدث. هذه الموافقة عظيمة بالفعل ، لكنها لن تكون كافية لنيتشه ، الذي سيطلب منا الماضي قدمًا ، ليس فقط لنريد ما يحدث لنا ، ليس فقط للالتزام به فكريًا ، ولكن بإرادتنا وبكل تأثيرنا. (Granarola p. , 1993, p. 71).

بمعنى آخر ، إذا نطق هذا الطفل بـ "نعم مقدسة" ، إذا كان هذا الطفل الذي عاد إلى العالم، في نفس اللحظة التي عاد فيها ، يقول "نعم" ، "نعم" للوجود وإلى ما لا نهاية لوجوده في وقت

سابق ، فلدى الطفل ، عندما يعود ، ذاكرة كاملة لوجوده السابق. لكن هذه الذكرى خالية من كل عداء ، كل استياء ، كل إنكار. وهو ما ذكره نيتشه في هو ذا الإنسان *Ecce homo* في عام 1888 ، حيث قال أن العائد الأبدي هو أعلى مستوى من الإذعان الذي يمكن تحقيقه (Nietzsche, *Ecce Homo*, 1997, p. 320). لذا فالطفل براءة. الطفل الذي ، عند قدومه إلى العالم ، يقول "نعم" للوجود ، يصبح قادرًا على الفور على نسيان وجوده السابق ، وقادرًا على عيش حياته كما لو أنه لم يعيش أبدًا.

في عصر تقدم العلوم المختلفة كشفت عن ما يسبق وجودنا في هذا العالم من صعوبات الحمل ، وأحداث الحياة داخل الرحم ، والعوامل البيولوجية وحتى الجينية. ومن بين هؤلاء الأطفال الذين يأتون إلى العالم ، يحقق البعض البراءة ، ولأنهم حققوها ، سيكونون قادرين على نسيان وجودهم السابق ، واستعادة حياتهم كما لو أنهم لم يعيشوها قط. بينما يحتفظ الآخرون ، على العكس من ذلك (ربما يكونون الأكثر عددًا) ، في أعصابهم ، في جميع ثنايا دماغهم ، بذكرى حياتهم السابقة ، وخاصة ذكريات اللحظات الأكثر صعوبة في مقاطعهم السابقة. ومن هنا جاءت هذه النظرة المأساوية لبعض الأطفال. التي استنكرها نيتشه أو كما سماها هي مسيحية المصلوب ، ومسيحية التكرار ، ومسيحية وادي الدموع ، ومسيحية أولئك الذين لا يستطيعون نسيان ما يعتقدون أنه سيئ ، في الداخل والخارج. و دعى مقابل المسيحية الخاطئة إلى مسيحية الطفل ، مسيحية اللعب البريء أو البراءة والنسيان ، بداية جديدة ، لعبة ، عجلة دوارة. هذه العجلة أيضًا تستحق اهتمامنا...

يبدوا هذا الطفل ، متصلحًا مع وجوده السابق ، مع التاريخ السابق للإنسانية التي ينتهي إليها ، مع السلسلة اللانهائية من الدورات السابقة ، يعيد اكتشاف البداية. يبدأ مرة أخرى بكل براءة هذه الحياة التي سيعيشها دون استياء ، وأنه سيعيش في ملء. وقد جاء في "الفرد الأبدي" ، ترجمة الكلمة الألمانية "شهوة" (هذه الكلمة التي أعطت كلمة "loustic" بالفرنسية ،

عندما يخبرنا نيتشه أن "[الشهوة]" [ترغب في الخلود لكل الأشياء" (Nietzsche, ainsi parlait zarathoustra, 2006, p. 50).

إنه لا يشير إلى المتعة ، التي تريد ويمكن أن ترغب فقط في الخلود الخاص بها ، ولكن بالأحرى هذا الشعور بالوفرة ، هذا المزيج من الفرح والبراءة ، من الالتصاق التام بالحياة وواقع الحياة ، وهو ما نعرفه نادراً جداً. امتلاء من هو بفرح جزء من زمانية العود الأبدي. فالطفل القادر على البراءة ، الطفل القادر على النسيان ، يطيل طوال وجوده لعبة طفولته. اللعبة ، أو أخطر شيء جدي في الوجود البشري ، اللعبة التي تفصل بين أولئك الذين فهموا ما هي الحياة حقاً وتلك الشخصيات المثيرة للشفقة ، التي تأخذ نفسها على محمل الجد" ، هؤلاء رجال ذوو "روح ثقيلة" نسوا أنهم بشر ، وفقدوا الرؤية الكوميديه ، ولعب مسرحيات الحياة البشرية. لذلك طرح جيل دولوز -وهو من أوائل وأفضل المعلقين على نيتشه- في كتابه نيتشه والفلسفة (Deleuze, 1967, p. 50) فكرة عودة انتقائية أبدية". حيث يفرز العود الأبدي الرجال القادرين على الوصول إلى هذه الدرجة من القبول وأولئك غير القادرين على ذلك: إذن نعم ، بهذا المعنى هو انتقائي .

2-5-الطفل كمعلن ل "نعم" المقدسة للحياة :

الطفل هو "نعم مقدسة". من وجهة النظر اللغوية ، فإن الطفل هو من يقول نعم. لكن على عكس الجمل الذي يقول نعم من منطلق واجب الطاعة ، فإن نعم الطفل هي تأكيد في مواجهة الوجود ككل . إذ لا يرى الطفل أي خير أو لا يرى شرًا ، لا جميلًا ولا قبيحًا ، لا متفوقًا ولا أدنى شأنًا، إنه يمتلك موقف ديونيسي تجاه الوجود ، يذعن لكل ما يحدث. حركة أولى التي تحمل "نعم" مقدسة". لإعادة تشكيل العالم ، وابتكار قيم جديدة ، ورمي نرد الوجود نحو السماء ، حيث قال زرادشت : أجل، إن لعبة الابتكار يا إخوتي تتطلب "نعم" مقدسة: إرادته الخاصة، يريد العقل الآن؛ والذي يكون غريبًا في العالم أن يكسب عالمه الخاص.و بذلك يؤسس نيتشه لأكبر العواطف التراجيدية من خلال "نعم" لتعزيز الحياة

وتقويتها وتأكيد للحرية من دون حدود ، تلك التي نجدها لدى الأطفال . هي أحلام مجنونة تسمح " بزلة الرجل مرةً ، و بالطيران مرةً أخرى و تسمح في أن نكون مجانين " (Nietzsche, Gai savoir , 1989, p. 122)

إنه "حب القدر" amor fati. هذا نعم مقدس: و التي يعطيها نيتشه معنى liturgique طقسي ليتورجياً أنه يشكل "قوة معادية لقول دائماً "لا" (Nietzsche, Fragments posthumes , 1884, pp. 14-15). إنه .. هذا نعم ديونيسي لأنه يجسد المبدأ الذي يجعل من الممكن توليد رؤية تعارض المفهوم السلبي للحياة. وهو تأكيد على الصيرورة في كل شيء وفي كل مكان ، فإن التأكيد هو إذن مبدأ وجودي للتفكير في كينونة كل شيء والكل. لذلك سيكون هناك في العالم مبدأ مطلق للتأكيد الوجودي. ومع ذلك ، ينعكس هذا المبدأ في الإنسان لأنه عندما يقول "نعم" ، يتم التعبير عن كل قوة التأكيد للكل . فيرمز الطفل إلى "الخصوبة الأبدية" للحياة ، و "عودتها الأبدية" ؛ إنه أول مظهر وجودي لهذا التأكيد. وعندما يقول "نعم" ، يُظهر هذه القوة المركزة في نفسه ويفسر الحياة بطريقة إيجابية بشكل طبيعي. كما رأينا ، الطفل هو الاستعارة التي يستخدمها نيتشه كمرحلة نهائية من التحول الذي يمكن للعقل أن يتخذه.

5-2-1- وفي باب الطفل والزواج

تستطيع أن تقرأ هذا: " هل أنت رجل من حقك أن تنجب طفلاً؟ هل أنت المنتصر ، المسيطر على نفسك ، سيد حواسك ، سيد فضائلك؟ [...] أم هو حاجة الحيوان والحيوان التي تتحدث في رغبتك؟ أم الوحدة والخلاف مع نفسك؟ أريد انتصارك وحرمتك في رغبة طفل. يجب عليك تشييد نصب تذكارية حية لنصرك وتحريرك. عليك أن تبني ما هو أبعد من نفسك. [...] لا يجب عليك الإنجاب فحسب ، بل يجب عليك أيضاً الخلق الفائق.

[...] إنه منشيء يجب عليك إنشاؤه) نيتشه, 1983 (p. 89) .,

وبالتالي ، فإن اختيار إنجاب طفل ليس خياراً تافهًا. من يختار الإنجاب يمكن مقارنته بالفنان لأنه اختار أن يكون خالق الخالق. لذلك فهو المادة والشخص الذي يعطي شكلاً لهذه المادة.

يجب أن "يفرط في الإبداع" ومن أجل ذلك يجب أن يعيش حياة قوية نتيجة الانضباط والعمل على نفسه وحتى تجاوز نفسه - لأن "الإنسان شيء يجب التغلب عليه" (نيتشه، 1983، صفحة 21). بشكل عام ، الخالق بالنسبة لنيته هو الشخص الذي يولد ابتكارًا حقيقيًا ، قيمًا جديدة - الخالق هو المحور الذي يتحرك حوله العالم لأنه "يدور العالم حول مخترعي القيم الجديدة" (نيتشه، 1983، صفحة 160). هذا الخلق هو المسؤول عن السعادة القصوى . فالتحكم والسيادة على الذات تتعلق بالحرية لإنشاء شيء جديد ، عليك أن تحول ، وبالتالي تنكر ، الأشكال القديمة: لذلك فإن التأكيد دائمًا هو عكس النفي لأنه "لإقامة ملاذ ، عليك هدم الملجأ: هذا هو القانون". لتكون قادرًا على أن تصبح مبدعًا ، يجب على المرء أن ينتقد القيم الماضية وينكرها. "ما هو الخير والشر ، لا أحد ومع ذلك لا أعرف - إلا إذا كنت خالق! (Généalogie de la morale، Nietzsche، 1887، صفحة 24) لذلك يجب ألا نكون نقديين فحسب ، بل يجب علينا أن نبتكر قيمًا جديدة ، ويجب أن نختبر ذلك لأنه لا أحد يعرف بعد هذه القيم الجديدة.

3-5-الطفل واللعب :

يطور نيتشه هنا موضوع اللعب الذي يعتبره "شرطًا أساسيًا للتعرف على العظمة" لأنه "لا توجد طريقة أخرى للتعامل مع المهام العظيمة غير اللعب". لذلك ليس من قبيل المصادفة أن يكتب نيتشه أن "في الإنسان الحقيقي يختبئ الطفل الذي يريد أن يلعب" (نيتشه، 1983 ، p. 263)

يقدم نيتشه مفهومًا معاكسًا لما اعتدنا على اعتباره طريقة تحقيق العمل الجاد حيث نستبعد كل ما يرتبط بالمرح والمتعة من نهجنا الإنتاجي. هذا بالضبط ما يشير إليه نيتشه: إذا لم نضع أنفسنا في موقف عقلي طفولي ، فعندئذ لا نخلق أي شيء جديد ؛ نحن راضون ، بطريقة ما ، عن القيام بالأشياء لذلك من الضروري هنا التمييز بين التصنيع والخلق وهذا بالفعل ما يخبرنا به نيتشه عندما حثنا على مقايضة الإنجاب بالإفراط في الإبداع. ومع ذلك ،

فإن البالغ والطفل مرتبطان بنقطة مشتركة لأن كلاهما يمتلك خاصية "الجدية" العقلية التي لا يبدو أن نيتشه يرغب في رفضها. ومع ذلك ، يجب علينا تعبئة هذه الخاصية بطريقة مختلفة: يجب علينا الآن وضعها في اللعبة وعدم السعي إلى استبعادها لخطر تفكيك قوتنا الإبداعية.

-اللعبة هو الوسيلة التي يصبح الخلق الأصيل ممكناً من خلالها. يظل الإبداع دون استخدام اللعبة ممكناً ، لكن الخلق الناتج لن يمتلك صفات العمل المصنوع من خلال اللعبة الإبداعي. وقد ألهم هيراقليطس نيتشه (لا سيما في الفلسفة في العصر المأساوي لليونانيين) حيث يعتبر اللعبة بالنسبة له وسيلة للتفكير: فهي تجمع بين القواعد وعدم القدرة على التنبؤ والعقلانية الاستراتيجية والمرح . و يخبرنا هيراقليطس أن "الحياة عبارة عن طفل يلعب لعبة Tric-trac [...]". هنا ، فاللعبة يحيل إلى "الحياة" و إلى القوة الحيوية التي تحرك الاجسام . تجعل اللعبة الطفل بانياً لأنها تبني وتدمر وكل ما وراء الخير والشر: "وحدها في هذا العالم ، لعبة الفنان والطفل يعرف الصيرورة والموت ، يبني ويدمر ، بدون أي شيء. التضمين الأخلاقي، ضمن براءة أبدية. وهكذا ، مثل الطفل والفنان ، كلاهما يلعب بالنار الحية الأبدية، وبالتالي يبني ويدمر ، بكل براءة ... وهذه اللعبة هي لعبة Aïôn تلعب بنفسها ". وهكذا الإنسان الأعلى - مثل الطفل الذي يبني و يفكك في براءة غير أخلاقية - هو الشخص الذي لا تثقله الأعراف الأخلاقية ؛ إنه يلعب بجدية الطفل ، ويطور وجهات نظر مختلفة ، ويلعب بالتعددية التي يقدمها له العالم وهذا إلى الأبد. ثم يربط نيتشه موضوع اللعبة بموضوع العائد الأبدي لأن الطفل هو "عجلة تتدحرج من تلقاء نفسها ، حركة أولى" - هذه الحركة الأولى مفصلية بشكل مستمر أو أبدي حول العجلة.

إن مسرحية الطفل ليست مسلية فحسب - إنها لعب إبداعية لأنه من خلال اللعبة يبني الطفل عالمه الخاص: ما يراه الكبار على أنه ترفيه غير مجدي يراه الطفل شيئاً جاداً وضرورياً. و بالنسبة لنيتشه ، فإن اللعبة هي إذن قوة التحويل ، وقلب القيم (Nietzsche, la

(philosophie a l'epoque tragique des grecs , 1990, p. 115) خلف اللعبة ، هناك افتراض مسبق للخيال باعتبارها "قوة كل التحولات" التي "تتحدى الترويج لمعيار واحد للحياة البشرية" (Nietzsche, Ecce Homo, 1997, p. 20) . وبذلك يؤسس نيتشه مفهوماً اصيلاً للطفولة يعاكس الرؤية الكلاسيكية للطفولة كفترة تمهيدية أو كمدخل للحياة يجب التغلب عليها في حالة تحدث في نهاية عملية التحول. الطفولة هي عودة رمزية إلى موقف طفولي وأداة غائية التي تعمل على تبرير أيديولوجية هي أيديولوجية الإنسان الأعلى والتي يجب أن تعمل على تجديد العالم. يجعل نيتشه الطفل رمزاً للروح الحرة القادرة على خلق قيمها الخاصة والتي تمثل ، بطريقة ما ، الإمكانيات الخارقة الموجودة في كل منا لأن "المرء يحمل فقط داخل نفسه طفله) نيتشه, 1983(p. 341) .,

من أجل الوصول إلى تلك الدرجة الفائقة من التسلسل الهرمي للأنواع البشرية يدعونا نيتشه إلى " أن نكون على الدوام أطفالاً وبدون خجل" (نيتشه، 1983، صفحة 50). لذلك فإن الإنسان الأعلى الذي يجسده الطفل يتسم بأنه يتجاوز نفسه. و من الضروري تهيئة الظروف لمجيء هذا الإنسان الاعلى -وهو جزء من مهمة الطبيب الفيلسوف. للثقافة- عن طريق مؤسسة تربوية و تعليمية تقوم على تعديل القيم و تهيئة الظروف المواتية لتحقيقها.

6- بيداغوجيا الطفل في فلسفة نيتشه : أو ماهي التربية التي توظف فينا هذا الطفل النائم؟

بدأ نيتشه بتشخيص واقع التربية و التعليم في عصرة مثلما توضحه كتاباته اعتبارات غير زمنية و افول الاصنام أين تبين له أن الجهاز التربوي و التعليمي مبني بشكل هرمي ومكون من (أهداف وبرامج وما الى ذلك) كتبت جميعها على أيدي أشخاص أيديولوجيين، وقيمت على أيدي نفس الأشخاص. لقد عرف نيتشه هؤلاء الأشخاص كمن يقفون متجمدين مشلولين

أمام الأيديولوجية والمسلمات خوفهم من الموت، والتي بدورها توجههم كيفما تريد هي. فعندما تتكلم الأيديولوجية تكون صاحبة الكلمة الأخيرة. و في تشخيصه لحالة التعليم في عصره في ألمانيا قال: "الألمان ، اعتدنا أن نسميهم أمة من المفكرين: أتساءل عما إذا كانوا، بشكل عام ، لا يزالون يفكرون اليوم؟ . الألمان ، على الرغم من أنهم قد يبدو تفوقاً في التفكير ، هم شعب "يرتدون ملابس مبهجة منذ ما يقرب من ألف عام [...].. يلوم نيتشه الثقافة الألمانية لتخليها عن العاطفة التي من شأنها أن تسمح لعقلهم أن يسلك طريقاً صاعداً" ([...] يتضاءل دائماً الشغف الألماني بأشياء العقل. لقد تحولت الشفقة وليس الفكر فقط" ، (نيتشه، افول الاصنام ، 2001، صفحة 150). و نيجه لذلك لم تعد الجامعات الألمانية تنشر ثقافة تعزز حيوية العقول وتحررها: لذا فهي تشكل عقبة أمام ظهور الإنسان الأعلى. فقال "[...] على الرغم من أن الجامعات [هي] مشتتات حقيقية لهذا النوع من اضمحلال الروح في غريزتها. "و سيكون المسؤول عن هذا الوضع هو الدولة التي ستجبر" المدارس العليا "على القيام" بتدريب وحشي لجعل مجموعة من الشباب قابلة للاستخدام وقابلة للاستغلال لخدمة الدولة ، بدأ في إدانة أوجه القصور في "المؤسسات التعليمية" كما كانت موجودة في ذلك الوقت في ألمانيا ، والتي تعكس أهدافها وأساليبها نقاط الضعف المتأصلة في الثقافة حيث وجد أنّ المؤسسات التعليمية تتحرك ".... في اتجاهين رئيسيين : فمن ناحية هناك "ميل إلى التوسع ، إلى أقصى توسع للثقافة" مما يؤدي في نفس الوقت إلى إضعاف الثقافة نفسها. وفي المقابل تتخلى الثقافة عن أسسها طموحاتها" .

هكذا يفترض نيتشه مسبقاً أن التربية العلمية والمنهجية الناتجة مباشرة عن فكرة الديمقراطية ، والتي تسمح بنشر تعاليم مشتركة ، تحكم على الرجال بتوحيد الأرواح. وهكذا، كانت الثقافة الألمانية في حالة تدهور لسنوات عديدة لأن "التعليم العالي" لم يعد امتيازاً - الديمقراطية و "الثقافة" الوجود تصبح واجبة ، شائعة. وهكذا ، حتى لو أدرك

نيتشه أن جيل الشباب يحتاج إلى معلمين أكفاء لكي يتعلم كيف "يرى" ، و "يفكر" ، ولذا فإن مسألة التعليم هي أحد الشروط الأساسية لمستقبل الإنسان.

يمكن للثقافة ، من خلال التعليم ، أن تخلق - إذا أرادت - شخصيات حرة ومتفردة. لكن يبدو أن هذه الثقافة مقيدة من قبل الدولة ، حيث ديمقراطية الثقافة تتعارض مع التعليم النبيل وبالتالي الأرستقراطي الذي لن يتمكن سوى عدد قليل من الأفراد من تلقيه. وقد يبدو غريبًا أنه كذلك ضد فكرة التعليم الشامل الذي يحمل فكرة المساواة. فكيف يمكن لنيتشه أن يستدعي الحاجة الملحة لتعليم العقول لإنقاذ الثقافة الألمانية ككل إذا كانت موجهة فقط لعدد صغير من الأفراد؟

ينتقد نيتشه حقيقة أن التعليم الديمقراطي أين يشجع المعلمون الشباب على "التأتأة بأنفسهم" باعتبار الثقافة الحقيقية والصارمة - في نظر هؤلاء - هي قبل كل شيء الطاعة والعادة" وبالتالي فهي عكس "الحرية الأكاديمية" التي تنتج طلابًا مستقلين . هذا النقد الموجه إلى الدولة يحمل معه فكرة الديمقراطية: "الثقافة العالمية هي على وجه التحديد بربرية. (المحاضرة الأولى) بعبارة أخرى ، الثقافة مرة واحدة ديمقراطية ، لم تعد تشكل مسألة لرفع الروح المعنوية. بهذا المعنى يخبرنا نيتشه أن الدولة والحضارة الحقيقية للروح متضادتان في الفقرتين من خلال إضفاء الطابع الديمقراطي على الثقافة ، ستقوم الدولة بالتالي بتوسيع نطاقها. ولكن من المفارقات أن هذا الامتداد سينتج ، من خلال "هذا التخصص الضيق للمعرفة" ، "ابتعادًا أكبر عن الثقافة الحقيقية" ولذلك فإن "تقليص الثقافة" الديمقراطية ، بقدر ما تتشكل من خلال الدولة ، تولد "فقر الروح التربوية" . إذ لا يبدو أن الديمقراطية تُفهم بقدر ما تُفهم شكلاً معينًا من أشكال الحكومة مثل "المساواة في الظروف ، وإقصاء جميع الأرستقراطيين ، سواء على أساس الامتيازات السياسية أو على التفوق في الأهمية الفردية" أو السلطة الاجتماعية التي يمكن أن تعبر عن نفسها في الشكل السياسي وكذلك في منتجات الثقافة والفن ، أو في أي إنتاج للمجتمع البشري.

و انتهى نيتشه على التمييز بين الثقافة وسعة المعرفة حيث اعتبر أن المؤسسات التعليمية "لا تتدرب في الثقافة ، ولكن فقط في المعرفة. (المحاضرة الثانية) في الواقع بالنسبة لنيته ، [.] يمكن للمرء حتى بدون عقل ليكون عالماً عظيماً ". (Nietzsche, ainsi parlait zarathoustra, 2006, صفحة 20) ومن خلال عكس ترتيب الأولويات ، يتطلب من الطلاب شكلاً من الأصالة والتميز بحيث يستحيل عليهم تطوير أنفسهم بأنفسهم في سن غير ناضجة.

7-الثقافة الارستقراطية كسبيل لبعث الطفل النائم بداخلنا .

نظرًا لأن التعليم الحالي يبدو أنه يمارس عملاً تحويليًا سلبيًا على الأفراد الذين يهددون مستقبل الإنسان ، يقترح نيتشه شكلاً جديدًا من التعليم سيكون قادرًا على تعديل النوع البشري بطريقة إيجابية للتربية. و لذلك راح يقف عند دلالة الكلمة فوجدها غامضة ولذلك يصعب فهمها. وفقًا لفابيان جيغودز (Jegoudez, 2000, p. 30)، هذه الفكرة لها معنى خاص جدًا في نيتشه. Züchtung التي تعني التربية والتكاثر في عالم الحيوانات والنبات. طبق نيتشه بشكل مجازي فكرة التربية على الإنسان ، وهي فكرة تأخذ معنى التنشئة، والرعاية ، والمساعدة على التنمية ، ولكن أيضًا التأديب ، والاختيار ، وعلى نحو أكثر. ووجدها أقرب إلى مفهوم Zähmung ، بمعنى الترويض. في حين التربية من منظور نيتشه هي مجموعة الشروط اللازمة للسماح لـ Einverleibung ، وهي دمج القيم الأرستقراطية النبيلة - وهي عملية بعيدة كل البعد عن التعليم الكلاسيكي الذي يظل عمله سطحيًا. لذلك يرفض نيتشه فرضية التعليم الشامل الصالحة للجميع.

من ناحية أخرى يؤكد على العلاقة الضرورية بين فكرة الثقافة الأصيلة وفكرة الأرستقراطية إن "الثقافة الحقيقية [...] تتمسك بالطبيعة الأرستقراطية لـ الروح" ، إذا كان من الممكن التأكيد بعبارة أخرى على "الطبيعة الأرستقراطية للثقافة الحقيقية" ، فهي بقدر ما تحتاج إلى مرشدين ، أسياد ، "أفراد عظماء" ، وحتى "عابرة" قادرين على تحديد القيم والتوجهات

الأكثر ملاءمة له ، حيث يخضع أكبر عدد للقيم المقبولة ، والتي قد تثبت أنها غير كافية ، حتى غير مواتٍ لحياة الإنسان وظهور ثقافة أصيلة. ... هنا ، لا يبدو أن نيتشه يعطي معنى سياسيًا لمصطلح أرستقراطية: بل يفضل أن يكون الحديث عن أرستقراطية غير مادية لأن نيتشه يخبرنا أن هذه الثقافة النبيلة تفترض مسبقًا "اختيارًا حكيمًا". و لذلك تظهر الثقافة الأرستقراطية هنا على أنها الافتراض المسبق الذي يكيّف الارتقاء بالثقافة وبالتالي للإنسان بشكل عام والنوع البشري الذي يصفه نيتشه بأنه "نبيل" أو "أرستقراطي" يتميز أولاً وقبل كل شيء بالشعور بقيمته وكرامته الخاصة مما يؤدي به إلى الرغبة المستمرة في التغلب على نقاط ضعفه ويمنعه من أي شكل من أشكال التبعية .

و كان الإغريق هم النموذج "النبيل" الذي يقارن به نيتشه الثقافة الألمانية الحديثة. فالثقافة اليونانية ثقافة أرستقراطية أو نبيلة يميل الأفراد فيها بشكل عفوي إلى تمييز أنفسهم ، وإقامة روابط مع أولئك الذين يعتبرونهم وحدهم "أقرانهم" ، وإبعاد الذات ، على العكس ، عن هؤلاء الذين لا ينتمون لنفس الرتبة

يستعير نيتشه لغة لايبنيزية للحديث عن التناغم المحدد مسبقًا عندما يستحضر العلاقة بين الطالب والمعلم:

"يسود ترتيب الروح استعدادًا متبادلاً وحتى انسجامًا محددًا مسبقًا. إنه هذا النظام الأبدي، الذي تتجه إليه الأشياء دائمًا بواسطة الجاذبية الطبيعية. فقد تبني فكرة ليبنيذ القائلة بأن "عالمنا الفكري والنفسي" يمكن أن يُنظر إليه على أنه عدد كبير من الوحدات monads مدفوعة بـ "شبهة" محددة وبعضها ، وفقًا بالنسبة لنيتشه ، يميلون بشكل طبيعي للاتفاق مع الآخرين. وهكذا يشير نيتشه هنا إلى المنفعة التي تتعايش فيها أنواع مختلفة من البشر التي تتناسب مع التسلسل الهرمي. ولكن حتى إذا أكد نيتشه أن "عدد الرجال المثقفين [...] يمكن أن يكون صغيرًا بشكل لا يصدق" ، فإنه لا يبدو أنه يؤكد أن الرجال يولدون غير متساويين في شروط إمكانية لقاء مثمر مع الثقافة. ومع ذلك ، دون التخلي عن فكرة

التسلسل الهرمي للمواهب البشرية ، يخبرنا في المحاضرة الرابعة أن " حتى عندما تكون مواهبهم هي من الدرجة الثانية أو الثالثة ، معدة لمثل هذا التعاون [مع الثقافة] [...] . ولكن هذه الهدايا بالتحديد هي التي حولت طريقها عن طريق فنون الإغواء بلا منازع لهذه "الثقافة" العصرية ، وبالتالي عزلت عن غرائزها.

يعتقد نيتشه ، مثل هيراقليطس ، أن أشياء جديدة يمكن أن تنشأ من أضدادها. لذلك يمكننا أن نعتقد أنه بالنسبة له ، يمكن أن ينشأ تعليم متجدد من تعليم لم يعد ديمقراطيًا ولكنه أرستقراطي.

من الضروري أيضًا أن نأخذ في الاعتبار السياق التاريخي الذي وجد نيتشه نفسه فيه عندما يقترح هذه التربية من الإلهام الأرستقراطي. ففي الوقت الذي يكتب فيه ، كانت ألمانيا أول دولة أوروبية تنشئ نظامًا تعليميًا عامًا وشاملاً وإلزاميًا مع سيطرة الدولة الصارمة في جميع المهام التعليمية. وهكذا ينشأ الخوف من التعليم المتأثر إلى حد كبير بالدولة. وكان نيتشه هو الشاهد الأكبر على عواقب أفكار كانط أو فيشته أو هيجل الذين تكون الوظيفة الرئيسية للدولة بالنسبة لهم تربية والذين يجب أن تمر إعادة ميلاد ألمانيا من خلال تعليم يتم تقديمه لمصلحة الدولة لأن الشخص فردي يُنظر إليه بالضرورة على أنه كائن أناني (Dewey, 2018, p. 65)

لكن طور نيتشه فلسفته في التعليم على أساس نموذج الدولة اليونانية المبنية على القيم الديمقراطية فالدولة اليونانية هي دولة كانت بمثابة نموذج للعديد من الدول الديمقراطية. ومع ذلك ، فهي مثال للدولة الديمقراطية القائمة على نموذج الاستبعاد. وهكذا ، تم بناء الديمقراطية الأثينية في القرن الخامس قبل الميلاد على أساس نظام نخبوي برفض وضع المواطن على النساء والعبيد والمهاجرين. لذلك فإن تكامل التسلسل الهرمي في الأفراد ليس فقط العلامة المميزة للمجتمعات الأرستقراطية. فعلى الجهاز التربوي والعاملين فيه رؤية القوة الكامنة في كل فرد والتي تعمل على حفزه، والعمل على إعطائها الفرصة للتعبير عن

ذاتها. هذه النظرة تتطلب إفساح المجال للتلقائية والخصوصية لدى كل فرد، وذلك بهدف تعزيز الجانب الإيجابي في داخل كل منا. فكان دور المعلم في فلسفة نيتشة في تحرير روح وعقل الأنسان من القيود التي تكبلهما ، باعتباره يؤمن بأن هناك عوالم ومعتقدات غير واضحة وغير معلومة يسعى الى التعرف عليها. و لا يملك المعلم أي امتياز في الوساطة بين الطالب ومجتمعه، و ليس دور الطالب في استدخال قيم حتى لو كانت تلك القيم هي قيم المعلم الذي يقتاد به، بل بالعكس تماماً فهو يرى دور المطالب في التمرد على تعاليم المدرس، فنراه في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) يشجع الفرد في التحرر من قيود المجتمع والتعاليم التي نشأ عليها، حتى أن التحرر -بالنسبة لنيتشة- ليس قيمة بحد ذاتها، وإنما هي وسيلة للخلق ولتكوين قيم جديدة. لذلك نجده يولي أهمية كبيرة لدور المعلم والعملية التربوية، باعتباره وسيطاً بين الطالب والثقافة المجتمعية. كذلك نرى أنه يتطلع الى ذاتية الفرد وتفردته بسمات وقدرات وميول خاصة كمصدر للعمل الهادف الى تطوير المجتمع الذي ينتهي اليه. ومن أجل خلق قيم جديدة يجب على الفرد الابتعاد عن القيم التي نشأ عليها وفحصها من جديد. فرغبة زرادشت في كتابه هي خلق طالب يكون (صديقاً ونداً) في ذات الوقت فنراه يقول "ليكن لديك صديقاً جيداً في عدوك، وليكن قلبك قريباً إليه حين تقف ضده". فالتأرجح وفحص القيم باستمرار هي الطريق الوحيد للتعرف على القيم الحقيقية، فالتأرجح يكون في اتجاهين: تأرجح نحو الخارج، أي نحو العالم الظاهر، وتأرجح نحو الداخل الى الذات البشرية. كذلك فإن هذا التأرجح له صورة محسوسة وصورة صورية مجردة. التأرجح يمكن أن يكون شعورياً ويمكن أن يكون عقلياً - حيث أن على الفرد أن يتعلم، أن يجرؤ، أن يتخيل وأن يعيد فحص المسلمات .

8-الخاتمة :

تطرق نيتشه الى قدرات وسمات يطورها الطفل منذ نشوءه، ومن هذه القدرات والسمات قدرته على أن يكون مسؤولاً من ناحية وجريئاً من الناحية الأخرى، أن يكون مؤمناً من ناحية وشكاكاً في كل ما يؤمن به من ناحية ثانية، ففي أحد كتبه على سبيل المثال "ضد المسيح" أوضح نيتشه الصراع بين الحقيقة المطلقة والحقيقة الذاتية، وأوضح بأن أموراً كثيرة قد نؤمن بها تكون وهماً حتى نفكر فيها مرة أخرى. إن المدرسة غالباً ما تحاول زرع القيم والمبادئ في رؤوس أطفالنا وهذا أمر جيد إذا ما توافق مع تعليمهم القدرة على التشكيك في الكثير من القيم والمبادئ التي يربون عليها بهدف تطوير قيم ثقافية أفضل.

فالتشكيك بالمسلمات ليس بالأمر السيء ولكنه يعطي فرصة للشخص لمواجهة الكثير من المعتقدات في عالم متغير الصور والوجوه. أتذكر عندما تعلمنا في مدارسنا قال لنا المعلمين بأن المعتقدات ليست موضوع للتساؤل والاستفسار ولا حتى للشكوك، ولكن نيتشه يرى بدورنا كمدرسين بإعطاء الفرصة لإطلاق العنان للعقل البشري للتساؤل والإستفسار لكي يشكل معتقداته، يغيرها أو يقويها. ويخلص الباحث إلى أن الثقافة أو التربية المنشودة من قبل نيتشه، هي تلك التي تكون محايثة للحياة ومتفاعلة معها، تستشرف المستقبل من خلال أوضاع الحاضر، ومتابعة التحولات المستمرة للإنسان، ومؤسسات التربية والثقافة حين تضع نفسها في خدمة الدولة، تصبح مناهضة للحياة، وتتحول إلى مقبرة لها. (الاندلسي، 2013، صفحة 50). ومع ذلك ، فإن المقاطع النادرة في زرادشت حيث يستخدم نيتشه شخصية الطفل بالمعنى الحرفي يمكن أن تقودنا إلى الاعتقاد بأن الطفل يشكل إمكانية حقيقية للخروج من العدمية المحيطة بنا

l'enfant, prit pour lui-même, constitue une réelle possibilité de sortir du nihilisme.

9- الهوامش :

- Astor Dorian. (2017) *Nietzsche, la detresse du present*. Gallimard .
- David Kennedy. (2006) *changing conception of the child from the renaissance to post-modernity*.
edwin meller .
- dictionnaire Larousse. (2007) France.
- Egle Becchi. (1998) *Histoire de l'enfance en occident*. Seuil.
- Fabien Jegoudez. (2000) *Nietzsche et l'humanisme*. Noésis .
- Gilles Deleuze. (1967) *Nietzsche et la philosophie*. P.U.F Paris.
- John Dewey. (2018) *démocratie et éducation*. l'age d'Homme.
- Laurent Bachler. (mars, 2016). trois conceptions philosophiques de l'enfance . *spirale*.51 صفحة ،
- Nietzsche. (1884) *Fragments posthumes*. Gallimard .
- Nietzsche. (1887) *Généalogie de la morale*. Flammarion.
- Nietzsche. (1989) *Gai savoir*. Gallimard.
- Nietzsche. (1990) *la philosophie a l'époque tragique des grecs*. folio essai .
- Nietzsche. (1997) *Ecce Homo*. mille et une nuit.
- Nietzsche. (2006) *ainsi parlait zarathoustra*. Flammarion.
- Philippe Granarola. (1993) *l'individu éternel*. librairie philosophique J . VRIN.
- Philippe Granarola. (2012) *Nietzsche et les voies du surhumain*.
- Simone de Beauvoir. (بلا تاريخ) *le deuxième sexe*. :1986 Gallimard .
- ابن منظور. (1998). لسان العرب .
- ديكارت. (1989). مقال الطريقة. دالر موفوم.
- محمد الاندلسي. (2013). نيتشه و معضلة التربية . دار الاندلس للطباعة .
- نيتشه. (1983). هكذا تكلم زرادشت. منشورات الجمل.
- نيتشه. (2001). افول الاصنام . افريقيا الشرق.